المحاضرة 5 : قضايا النقد عند الفلاسفة

تمهيد:

مهدت عوامل حضارية كثيرة أولها التوسع الجغرافي للمسلمين، واختلاطهم بباقي الأجناس والأمم لأن يتأثر العرب بمن سبقهم من فلاسفة اليونان، وفي مقدمتهم أرسطو وأفلاطون، حيث تدبن الثقافة العربية الإسلامية للفكر اليوناني الذي تلقاه العرب عن طريق الترجمة في العصر العباسي خاصة ، ويبدو ذلك من خلال كتاب "فن الشعر" لأرسطو، ومن أشهر الفلاسفة العرب الذين تأثروا به الفارابي وابن سينا وابن رشد. لم يعرف النقاد العرب أو الفلاسفة المسلمين أي تأثير بالنقد اليوناني إلا بعد ما ترجم كتاب "فن الشعر" من قبل "بشر بن متى" سنة 329هـ، و قد كان تأثير الفكر اليوناني على الجاحظ قبل هذا التاريخ محدودًا[1] ثم قام الفارابي بتلخيصه وبعده قام ابن سينا بترجمته ومن هنا بدأت نظرية أرسطو في الشعر تجد صداها في نقد الشعر العربي.

قضايا النقد عند الفلاسفة المسلمين:

عالج الفلاسفة المسلمون قضايا كثيرة متعلقة بالشعر وبالخطابة ومنها: ماهية الشعر، وقضية المحاكاة والتخييل، وأوزان الشعر وأغراضه، والصدق والكذب، والمجاز وغيرها، وفيما يلي نماذج عن أبرزها من خلال أعلام النقد الفلسفي:

- **النقد عند الفارابي:**

تميّز الفارابي بشكلٍ خاصّ في شرح مؤلفات الفيلسوف أرسطو حتى أُطلق عليه لقب (المعلّم الثّاني)، كما وضع العديد من المؤلفات في مختلف المجالات منها: شرح العبارة لأرسطو، شرح كتاب المقولات لأرسطو، الألفاظ المستعملة في المنطق، شرائط اليقين، كتاب الشّعر، كتاب الخطابة، رسالة في قوانين صناعة الشّعر، إحصاء العلوم، كتاب الحروف. تأثر الفارابي

[1]– تاريخ النقد الأدبي عند العرب لإحسان عباس ص186.

بالثقافة اليونانية وبأرسطو واضح، يدل عليه ما ذكره حول مفهوم الشعر وقضاياه، فقد ترك بصمة واضحة فيما يخص تعامله مع الترجمات العربية التي سبقته لفن الشعر الأرسطي، يلاحظ ذلك من خلال ابتعاده عن (متى بن يونس) في تسميته للتراجيديا والكوميديا بالمدح والهجاء ، لأنه سماها (طراغوذيا) و(قوموذيا)، واعتماده على مقولات أرسطو في حديثه عن الشعر مستبدلا مصطلح (الشعر) بـ (الأقاويل الشعرية)، يقول: "والأقاويل منها ما هي جازمة ومنها غير جازمة والجازمة منها ما هي صادقة ومنها ما هي كاذبة والكاذبة منها ما يوقع في ذهن السامعين الشيء المعبر عنه بدل القول ومنها ما يوقع فيه المحاكى للشيء وهذه الأقاويل الشعرية[2] وقسم الفارابي الأقوال الشعرية إلى برهانية وجدلية وخطابية وسوفسطائية وشعرية انطلاقا من مقولة قدامة "أعذب الشعر أكذبه" . الثابت أن النقد عند أفلاطون شمل موضوعات متعددة، من أهمها: نظرية المحاكاة، وفكرة الإلهام في الشعر.

والمحاكاة عند الفارابي في الفن الشعري تعني المشابهة أو المماثلة ولا تعني المطابقة ويشبه ذلك بالصورة التي ترى في المرآة[3]. إن نظرية المحاكاة تعد من أقدم وأهم النظريات التي كان لها دور فعال في تطوير حركة النقد الأدبي والتي كان أفلاطون أول من نادى بها . في الفن . في كتابه الجمهورية. صنفها أفلاطون إلى نوعين: فـ" قد تكون بفعل. وقد تكون بقول، فالذي بفعل ضربان: أحدهما أن يحاكي الإنسان بيده شيئا ما، مثل ما يعمل تمثالا لا يحاكي به إنسانا بعينه، أو شيئا غير ذلك، أو يفعل فعلا يحاكي به إنسانا ما أو غير ذلك. والمحاكاة بقول: هو أن يؤلف القول الذي يصنعه أو يخاطب به من أمور تحاكي الشيء الذي فيه القول، وهو أن يجعل القول دالا على أمور تحاكي ذلك الشيء". والفارابي يرى أن الشعر العربي شعر غنائي اهتم العرب فيه بالقوافي والأوزان ولم يركزوا على الأوزان ولم يربطوا بين الأغراض

---

[2] – فن الشعر لأرسطو، تح عبد الرحمن بدوي ص150.

[3] – نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ألفت محمد، ص81.

الشعرية والأوزان، فلم يخصصوا اوزانًا لتكون قوالب لأغراض معينة عكس ما وجد عند اليونايين فقد جعلوا للمدح أوزانًا والهجاء اوزانًا.

لقد تأثر العرب قديماً بفكرة أفلاطون أن الشعر إلهام، وكان اليونانيون يذكرون في أساطيرهم، أنّ هناك قوة إلهية تلهم المبدعين الشعر وسائر الفنون، فتأثر العرب بذلك فربطوا بين الشعر وبين الشياطين، وأنها هي من تُلهم الشعراءَ قول الشعر.

- **<u>النقد عند ابن سينا</u>:**

وصف الشعر بأنه كلام مُخَيّل ، بقوله: "إن الشعر هو كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية هو ان يكون كل قول منها مؤلفا من أقوال ايقاعية ومعنى كونها مقفاة هو أن يكون الحرف الذي ختم به كل قول منها واحدًا وإنما ينظر المنطقي في الشعر من هو مخيَّل[4]. يضيف ابن سينا في تعريف الشعر على أنه كلام موزون مقفى صفة أخرى وهي "كلام مخيَّل" فهو ركز على التخييل ودوره في المتلقي وما يتركه من أثر في نفوس المتلقين، حيث يقول: "وإنما ينظر المنطقي في الشعر من حيث هو مخيَّل والمخيَّل هو الكلام الذي تدعى له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار بالجملة تنفعل له انفعالًا نفسانيًا غير فكري[5] . وعن طريق التخييل استطاع ابن سينا التفريق بين الشعر وغيره من الفنون كالنثر والخطابة قائلا: "الشعر يستعمل التخييل والخطابة تستعمل التصديق".[6]. وتجدر الإشارة هنا إلى قضية هامة جدا وهى أن ابن سينا علم الفرق بين الشعر العربي والشعر اليوناني وطبيعة كلا منهما، قال في طبيعة الشعر اليوناني :"الشعر اليوناني إنما كان يقصد فيه في أكثر الأمر محاكاة الأفعال و الأحوال لا غير" بينما العرب كانت "تقول الشعر لوجهين أحدهما ليؤثر في النفس أمرا من الأمور تعد به نحو فعل وانفعال و الثاني للعجب فقط فكانت تشبه كل شيء للتعجب بحسن التشبيه وأما اليونانيون فكانوا يقصدون أن يحثوا

---

[4] – فن الشعر، ترجمة أحمد بدوي، ص161.

[5] –السابق ص161.

[6] – نفسه ص162.

بالقول على فعل أو يردعوا بالقول عن فعل وتارة كانوا يفعلون ذلك على سبيل الخطابة وتارة على سبيل الشعر فلذلك كانت المحاكاة الشعرية عندهم مقصورة على الأقاويل و الأحوال والذوات من حيث لها تلك الأفاعيل و الأحوال".

ولا شك أن ابن سينا قد تأثر كثيرًا بالفارابي في مفهومه للتخييل أو المحاكاة فهو يقول: "والمحاكاة هي ايراد مثل الشيء وليس هو هو فذلك كما يحاكي الحيوان الطبيعي بصورة هي في الظاهر كالطبيعي، ولذلك يتشبه بعض الناس في أحواله ببعض ويحاكي بعضهم بعضًا ويحاكون غيرهم[7] وأن المحاكاة في الشعر عنده هي الكلام واللحن والوزن، فاللحن الذي يتنغم به فإن اللحن يؤثر في النفس تأثيرًا لا يرتاب فيه، ولكل غرض لحن يليق به بحسب جزالته أو لينه أو توسطه وبذلك التأثير تصير النفس محاكية في نفسها لحزن أو غضب أو غير ذلك وبالكلام وبالكلام نفسه إذا كان مخيلاً محاكياً بالوزن فإن من الأوزان ما يطيش ومنها ما يوقر، وربما اجتمعت هذه كلها وربما انفرد الوزن والكلام المخيَّل فإن هذه الأشياء قد يفترق بعضها من بعض"[8]

- **<u>النقد عند ابن رشد</u>:**

يعدّ أشهر فيلسوف اقترن اسمه بأرسطو، ذلك أنه خصّص قسطا من حياته لدراسة وشرح فلسفته. كمت يعدّ من الفلاسفة الذين ترجموا كتاب (فن الشعر)، حتى وإن اختلفت ترجمته عن باقي الترجمات والشروح، فقدعيب عليه سوء الفهم للمصطلحات الواردة في الكتاب، ورأى البعض أنه أخطأ في ترجمته، وذلك يرجع إلى أنه استبدل أمثلة أرسطو بأخرى عربية من شعر وآيات قرآنية. ويعتبر ابن رشد المحاكاة هي أساس المديح في قوله: "والتشبيه والمحاكاة هي مدائح الأشياء في غاية الفضيلة"[9].

---

[7] – فن الشعر لآرسطو، ترجمة عبدالرحمن بدوي ص.168

[8] –نفسه ص168.

[9] – السابق ص75.

والمحاكاة الشعرية عند ابن رشد تكون من قبل ثلاثة أشياء الوزن واللحن والكلام والتخييل وجعل الشعر يقوم على عنصرين هما الوزن والمحاكاة يميز بهما الشعر عن النثر وعقد مقارنة بين التراجيديا (المأساة) اليونانية والموشحات والإجزال الأندلسية[10].

وقد حاول بعض الدارسين في العصر الحديث تحديد كثير من المفاهيم المرتبطة بمفهوم الشعر عند الفلاسفة المسلمين ومدى تأثرهم بالفلسفة اليونانية خاصة أرسطو[11]. على غرار ابن رشد إذ بحث في حد الشعر والعلاقة بين الوزن والمعنى وبينه وبين المحاكاة، ومفهوم التخييل وعلاقته بالتشبيه، ومع ذلك فإنه أكثر اختلافا عن سابقيه من حيث فهمه وتعامله مع تراث أرسطو في الشعر.

---

[10] – نفسه ص60 وما بعدها.

[11] – ينظر كتاب: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد لألفت محمد كمال عبد العزيز ص 85 ، وملامح من النقد الأدبي عند الفلاسفة المسلمين لمحمد أبو النصر (شبكة الفصيح).